﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ١٣٩﴾ [النساء: 139]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

تَحْذِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ سُلُوكِ سَبِيلِ الْمُنَافِقِينَ

في هذهِ الآيَةِ اسْتِمْرَارٌ لِسَرْدِ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ؛ فإنَّ اللهَ تعالَى لمّا بيّنَ صفاتِ المُنافقين بتَرَدُّدِهم في الإيمَانِ، وأعقَبَ ذلكَ ببيانِ مآلِهِمْ مُتَهَكِّمًا بِبِشَارَتِهم بالعَذَابِ الأليم؛ بيّنَ في هَذِهِ الآيةِ أَبْرَزَ مَا يتّصفُون به، وهُوَ مُوَالاةُ الكافِرين تَكْمِلَةً لِبَيَانِ ضَلَالِهِمْ، وتحذيرًا لأهل الإيمَان أن يسلُكُوا مَسْلَكَهُمْ، فيُوَالِي بعضُ ضُعَفَائِهِمُ الكفَّارَ دُونَ المُؤْمِنِينَ؛ لأجل المنفعَةِ العاجلَةِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡعِزَّةَ﴾: العَيْنُ والزَّاي تدلُّ اشتقاقَاتُهُ عَلَى شِدَّةٍ وَقُوَّةٍ، والعِزَّةُ: حالةٌ مانعة للإنْسَانِ مِنْ أَنْ يُغلَبَ، مِن قَوْلِهم: أرضٌ عَزَازٌ، أَيْ: صُلْبَةٌ، ومِنْهُ قولُ اللهِ تعالى: ﴿أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾"[2].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

الْقُوَّةُ وَالْعِزَّةُ للهِ تَعَالَى وَحْدَهُ

استحقَّ المنافقونَ العذابَ الأليمَ؛ لكونِهم اتَّخذوا الكفّار أولياءَ وأَنْصَارًا وأعوانًا مِن دُونِ المُؤْمِنِينَ، أَيَطْلُبُونَ بموالاتِهم القُوَّةَ والمَنَعَةَ عِنْدَهُمْ لِيَرْتَفِعُوا بِهَا؟! فإنَّ القُوّةَ والمَنَعَةَ كُلّها للهِ تعالَى[3].

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 6/416.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (عز)، والرّاغب، تفسير الراغب: 4/198.
(3) جماعة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 100.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دِلَالَـةُ الْوَصْفِ بِالِاسْمِ الْمَوْصُولِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ﴾:

بَـيَـانُ عِـلَّـةِ اسْـتِـحْـقَـاقِ الْمُنَافِقِينَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ

﴿ٱلَّذِينَ﴾ في قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ﴾ في محلِّ نصبٍ صِفَةٌ لـ ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ من قولِهِ سُبحانه: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾، حيثُ "نصَّ سبحانه مِنْ صفاتِ المنافِقِينَ على أشدِّها ضررًا، وهي موالاتُهُم الكافِرِينَ، واطِّراحهم المُؤْمنينَ، ونبَّه على فسادِ ذلكَ؛ ليَدَعَهُ مَنْ عسَى أنْ يَقَعَ في نَوْعٍ منه مِنَ المُؤْمنين غَفْلَةً أوْ جهالةً أوْ مسامحةً"[1]، وإنّمَا جاءَ وصفُهم ذَلِكَ بالاسْمِ المَوْصُولِ "لِإفَادَةِ تَعْلِيلِ اسْتِحْقَاقِهِمُ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ، أَيْ: لِأَنَّهُمُ اتَّخَذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ"[2].

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ ﴿يَتَّخِذُونَ﴾:

تَـقْـبِـيـحُ حَـالِ الْمُـنَـافِـقِـيـنَ وَتَشْنِيعُهَا

جَاءَ الفعْلُ في جملَةِ الصِّلَةِ في قولِهِ تعَالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ﴾ فعلًا مضارعًا؛ تَقْبيحًا لحالهم إذْ تلبَّسُوا باتّخَاذِ أَوْلِيَاء مِن دُون المؤمنينَ، فأفادَ الْمُضَارِعُ إحضَارَ حَالِهِمُ الشَّنِيعة في أذهَانِ المخاطَبِينَ؛ لتَنْفِير أهْلِ الإيمَانِ مِن سُلُوكِهَا.

دِلَالَةُ الطِّبَاقِ بَيْنَ ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وَ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَۚ﴾:

اخْـتِـيَـارُ الـضِّـدِّ الْقَبِيحِ آيَةٌ عَلَى فَسَادِ الْعَقْلِ وَرِقَّةِ الدِّينِ

في قولِ اللّه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ﴾ طباقُ إيجابٍ بينَ الْكَافِرِينَ والمُؤْمِنِينَ، وكان يصحُّ المعنَى لو اكتُفِيَ بذِكْرِ الوَلِيِّ المُتَّخَذِ، بأن يقال: (الّذين يتّخذُون الكافرين أولياءَ)، وفيه من القُبْحِ ما فيه، ولكنَّ التّصريحَ بالمتروكِ كانَ أبينَ لقُبْحِهم، وأفضحَ لِسُوءِ صَنيعِهم، وآكدَ في استحقاقِهم أشدَّ العذابِ.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/101، والثعالبي، الجواهر الحسان: 2/317.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 5/234.

بَلَاغَةُ الِاسْتِفْهَامِ التَّوْبِيخِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾:

تَوْبِيخُ مَنْ طَلَبَ الْعِزَّةَ عِنْدَ مَنْ لَا يَمْلِكُهَا

الاستفهامُ في قولِهِ تعالَى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ تَوْبِيخِيٌّ، يُرادُ بِهِ تَقْرِيعُهم ولَوْمُهم على سُوءِ اختيارِهم[1]، "وفي ذَلِكَ إِيمَاءٌ إلى أَنَّ المُنَافِقِينَ لَم تَكُن مُوَالَاتُهُم لِلمُشرِكِينَ لِأَجلِ المُمَاثَلَةِ في الدِّينِ والعَقِيدَةِ؛ لأنّ مُعظَمَ المُنَافِقِينَ مِنَ اليَهُودِ، بَل اتَّخَذُوهُم لِيَعتَزُّوا بِهِم على المُؤمِنِينَ، وإِيمَاءٌ إلى أَنَّ المُنَافِقِينَ شَعَرُوا بِالضَّعفِ فَطَلَبُوا الاعتِزَازَ، وفي ذَلِكَ نِهَايَةُ التَّجهِيلِ والذَّمِّ"[2].

وفي هَذا الاستِفهَامِ أيضًا إشعارٌ بِأَنَّهُم لَا عِزَّةَ لَهُم، فَكَيفَ تُبتَغَى العِزَّةُ عندَ من لا يملكُهَا؟ وفيه دلالَةٌ على خُبثِ مَقصدِهِم، وهُو طَلَبُ العِزَّةِ بِالكَفَّارِ والاستِكثَارِ بِهِم[3].

نُكْتَةُ تَقْدِيمِ الظَّرْفِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾:

الْمُبَالَغَةُ فِي ذَمِّ الْمُنَافِقِينَ وَتَوْبِيخِهِمْ

قُدِّم الظَّرْفُ (عِنْدَ) من قولِ اللهِ تعالَى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾، وأصل الكلام: (أيَبْتَغُونَ العِزّةَ عِنْدَهُم)، وفي تقديمِ الظَّرفِ ﴿عِندَهُمُ﴾ على المَفْعُولِ بِهِ ﴿ٱلْعِزَّةَ﴾ دلالة على التّخصيص، كأنّهم ظنّوا أنّ العِزّةَ لا تكُونَ إلَّا عِنْدَ هؤلاءِ، ولهذا طلبُوهَا مِنْهُمْ دونَ غيرِهِمْ، وفيهِ هذَا مبالغَةٌ في ذمِّهم وتوبيخِهِمْ.

دِلَالَةُ الْفَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾:

مَهْمَا طَلَبَ الْمَرْءُ الْعِزَّةَ؛ فَلَنْ يَجِدَهَا إِلَّا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى

قُرِنَتِ الجملةُ في قَوْلِهِ تعالَى: ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ بالفاءِ الدَّالَّةِ على التّفريعِ؛ إِذْ نشأتْ عَنِ الاسْتِفْهَامِ، فالجملةُ "تعليلٌ لما يفيدُه الاستفهامُ الإنكاريُّ مِن بُطلانِ رأيِهم وخَيْبَةِ رجائِهم؛ فإنّ انْحِصَارَ جميعِ أفرادِ العزّةِ في جَنَابِهِ عزّ وعَلَا؛ بحيث لا ينالُها إلّا أَوْلِيَاؤُه الّذين كُتِبَتْ لَهُمُ العِزّةُ والغَلَبةُ، قال تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/101، وأبو السعود، إرشاد العَقْل السّليم: 2/244، والصّاوي، حاشية الصّاوي: 1/237.

(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 5/234.

(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/101.

وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، يَقْضِي بِبُطْلَانِ التّعزُّزِ بِغَيْرِهِ ﷻ، واستحالةِ الانتفاعِ به"[1].

فَائِدَةُ تَقْيِيدِ قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ بِالْحَالِ ﴿جَمِيعًا﴾:

إِثْبَاتُ الْعِزَّةِ للهِ تَعَالَى فِي حَالِ الِاسْتِقْصَاءِ؛ يَسْتَلْزِمُ نَفْيَهَا عِنْدَ غَيْرِهِ

قُيِّدَ قولُهُ تعالَى: ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ بالْحَالِ ﴿جَمِيعًا﴾؛ لِنَفْيِ جميع أفرادِ العزَّة عن الكَافرينَ، فكيفَ يطلُبُها المنافقُونَ عِنْدَهُمْ؟! والمرادُ: "أنَّه لا تُطْلَقُ صفةُ العزّةِ إلّا للّه ﷻ؛ لأنّه لا يُعتدّ بعزّة أحدٍ مع عزّتِه تعالى، لصغرِها واحتقارِها في صفةِ عزّتِه، ولأنّه المقوِّي لجميعِ مَن لَهُ القوّةُ مِنْ خلقِه، فجميعُ العزّةِ له؛ لأنّه عزيزٌ بعزِّه، ومُعزُّ مَن عزَّ من عبادِه، فلَهُ العزّةُ جميعًا من كلّ وجهٍ"[2].

دِلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِالْجُمْلَةِ الِاسْمِيَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾:

ثُبُوتُ الْعِزَّةِ للهِ تَعَالَى ثُبُوتًا دَائِمًا

جَاءَتِ الْجُمْلَةُ في قولِهِ سُبحانَهُ: ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ اسميَّةً؛ للدّلالةِ على ثُبُوتِ العزّةِ ودوَامِهَا عندَ اللّه تعالى؛ "والمَقصُودُ مِنْ هَذَا التّهييجُ على طَلَبِ العِزَّةِ مِنْ جَنَابِ اللّه، والالتِجَاءُ إلى عُبُودِيَّتِهِ، والانتِظَامُ في جُملَةِ عِبَادِهِ المُؤمِنِينَ الَّذِينَ لَهُمُ النُّصرَةُ في هَذِهِ الحَيَاةِ الدُّنيَا، ويَومَ يَقُومُ الأَشهَادُ"[3].

(1) أبو السعود، إرشاد العَقْل السّليم: 2/244، والقنّوجي، فتح البيان: 3/267.
(2) الواحدي، التفسير البسيط: 7/153.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/435.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 8 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-60-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 8 : سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-60-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»